وكخلاصة لهذا العمل فقد انقسم النشاط النضالي في تونس إلى فئتين فئة معارضة للتعاون مع فرنسا ومعلنة عن ولائها للسياسة الإسلامية المنسجمة مع سياسة الحركة الوطنية في الشرق وخاصة تركيا، وأخرى تميل إلى المساعي الفرنسية وترى بضرورة التقارب والتعاون معها.

المحاضرة السادسة:جماعة الشباب التونسي ونشاطها النضالي (1907 –1912)

تطور النشاط النضالي التونسي وخرجت الحركة الوطنية من طور التفاهم إلى طور المطالبة والإحتجاج،مع التأكيد على الشكل التنظيمي،حيث رأت الفئة النخبوية بزعامة علي باش حانبه ضرورة العمل في إطار السياسة الإسلامية المتناغمة مع سياسة الحركات الوطنية في الشرق على غرار مصر وتركيا، بحثا عن وسائل لإصلاح الوضع التونسي تحت إطار سياسي عرف بـ "جماعة الشباب التونسي".

أولا–نشأتها : لا يوجد تاريخ محدد مرتبط بتأسيس الجماعة على اعتبار أنّها لم تتحصل على ترخيص ولم تطلبه، وكانت بداية نشاطها في شكل معارضة للمعمرين، إلاّ أنّ تاريخها التأسيسي يرتبط بشكل خاص بنشاط الشباب التونسي **في** بداية فيفري سنة 1907 وإصدار أول جريدة معروفة بـ:" التونسي" Le Tunisien الناطقة باللغة الفرنسية من طرف مؤسسها المحامي علي باش حانبة[1]، والذي وضع في افتتاحية العدد الأول لهذه الصحيفة برنامجا لحركته يشمل جوانب اقتصادية واجتماعية وسياسية، وانضمّ إليها عبد العزيز الثعالبي سنة 1909 بإشرافه على إصدار الطبعة العربية من جريدة التونسي سمّاها الإتحاد الاسلامي وضح فيها أهداف النخبة التونسية الحقيقية وأكد على وجوب اتحاد الشعب التونسي وتكاثفه[2].

ثانيا– برنامجها ومطالبها :تم تحرير مطالب حركة الشباب التونسي في المقال الاول لـ **"جريدة التونسي"** وهو برنامج يتضمن المطالبة بحقوق التونسيين السياسية والإجتماعية والإقتصادية، والتفّت حولهم الشبيبة الوطنية وجاءت جملة مطالبهم كالتالي:

–العمل على أساس إسلامي مرتبط بالخلافة الإسلامية والرابطة العثمانية.–الدفاع عن مصالح الشعب التونسي.

– إدانة المظالم والإمتيازات وعدم المساواة.– المطالبة بحقوق الأهالي في التعليم وممارسة جميع الوظائف الإدراية.

– مقاومة مشاريع الإستعمار والدفاع عن حقوق تونس.– المطالبة بحق التونسيين في المشاركة في الوظائف الإدارية مثل الفرنسيين.–المطالبة بعصرنة الفلاحة والصناعة المحليتين وتنظيم التعليم المهني الفلاحي،وتنمية مؤسسات الحيطة والتأمين،وإصلاح النظام الجبائي بحذف " المجبى" ومجابهة المنافسة الأجنبية.

---

[1] .علي باش حانبة(1876– 1918) ولد بتونس العاصمة من أصل تركي، درس في المعهد الصادقي، والتحق بسلك المحامين من أبرز اعضاء الجمعية الخلدونية والمؤسس الحقيقي للصادقية كان له دور في أحداث الترامواي وترأس حركة الشباب التونسي، أبعد عن تونس سنة 1912 واستقر باسطمبول تولى وظائف هامة إلى أن توفي بها سنة 1918، أنظر عنه: المحجوبي، جذور الحركة الوطنية،ص 139.

[2] . مناصرية يوسف،الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934–1937،دار المعارف للطباعة والنشر،سوسة، تونس، 2002،ص 28.

-تنظيم الإسعاف العمومي والطبي،وجعل التعليم إجباريا ومجانيا في جميع أنحاء تونس،وتسهيل عملية الدخول إلى التعليم الثانوي وتشجيع التلاميذ على مواصلة دراساتهم العليا[1].

-اتخاذ القرارات الحكومية بواسطة مجلس منتخب مع التأكيد على ضرورة الفصل بين السلطتين الإدارية والقضائية وإحداث نظام قضائي مستقل عن الكاتب العام للحكومة، وإصلاح العدلية التونسية التي لا توفر للمتقاضين الضمانات اللازمة للحصول على حقوقهم.

ثالثا-النشاط النضالي للجماعة:بدأ النشاط النضالي للجماعة عن طريق المقالات المنشورة في جريدة التونسي لسان حال الجماعة كما أصبحت الجماعة في ظرف وجيز ناطقا باسم الأهالي ومعبّرة عن تطلعاتهم فاستقطبت حوالي 1500 إلى 2000 من المؤيدين والمناضلين تتقاطع طموحاتهم مع برنامج الحركة، وشاركت في الكثير من الأحداث الهامة والبارزة وأهمها:

1- **المشاركة في مؤتمر شمال إفريقيا**[2] المنعقد بباريس من 06- 10 أكتوبر 1908، وشارك فيه كل من البشير صفر ومحمد الأصرم وعبد الجليل الزاوش وخير الله بن مصطفى ومحمد بن الخوجة والصادق الزمرلي والطاهر الاسود وطالبوا بتحسين أوضاع الفلاحين والخماسة،واحترام حقوق العمال وفق سن قوانين خاصة بهم ومنهم والحرفيين وصيادي الأسماك، وإصلاح القضاء الإسلامي والنظام الجبائي وجامع الزيتونة وتعليم اللغتين العربية والفرنسية حيث لقيت هذه المطالب صدى واسع من طرف الأهالي[3].

في حين قوبلت مطالبهم بالرّفض من طرف السلطة الفرنسية إضافة إلى السخرية التي تعرضوا لها من طرف الجماعة المدافعة عن تونس الفرنسية خاصة ما تضمنه تقرير خير الله عن التعليم القرآني بإصلاح الكتاتيب القرآنية، حيث نجد على باش حانبه يهاجم خير الله ويهدم برنامجه بحجة أنّ اللغة العربية لا يمكن أن تكون آداة لتعليم عصري،لكن ذلك لم يثني خير الله الذي أقبل على تأسيس مدرسة قرآنية عصرية " لتعليم اللغة العربية فقاموا بعقد اجتماعات شعبية، كما عقدوا أول مؤتمر شعبي المعروف بمؤتمر البلماريوم المنعقد يوم 17 صفر 1327 هـ/ 10 ديسمبر 1909 لمناقشة مسألة منح الجنسية الفرنسية لليهود والإحتجاج ضدها والمطالبة بإصلاح القضاء التونسي[4]؛إضافة إلى طرح مسألة إصلاح التدريس بالجامع الأعظم 1909-1910،وساند جماعة الشباب التونسي الإضراب الأول الذي شنّه الطلبة الزيتونيون في شهر أفريل 1910 ومطالبتهم بإصلاح التعليم الزيتوني وشاركتهم معهم في المظاهرات والتجمعات في الشوارع، ومطالبتهم بتجديد برامج التعليم المعمول بها في الجامع

---

[1] . المحجوبي، جذور الحركة الوطنية،ص 141.

[2] .كان مهندس هذا المؤتمر الفرنسيون بزعامة "ربي ميلي" المقيم العام الفرنسي بتونس، هدفه التقارب مع فرنسا، وقد عين جونار الحاكم العام بالجزائر رئيسا للمؤتمر، غير أن جماعة الشباب التونسي خيبوا آمال الإستعماريين بمطالبهم وتوجهاتهم للحفاظ على هويتهم، أنظر:الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية،ص 40-41.

[3] . المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية،ص 138.

[4].حاول اليهود اكتساب حق النظر في قضاياهم أمام المحاكم الفرنسية سنة 1910 واحتج حول ذلك جماعة الشباب التونسي كما احتجوا على محاولة تجنيس اليهود بالجنسية الفرنسية، ونددوا بموقف اليهود وطالبوا بإصلاح النظام القضائي للجميع: خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق،ص 75.

الأعظم (جامع الزيتونة) [1]، ومساعدة الطرابلسين في حربهم ضد الإحتلال الإيطالي حيث قام قادة حركة الشباب التونسي بزعامة علي باش حانبه بإصدار جريدة سماها "الإتحاد الاسلامي" دعا فيها إلى الوقوف وراء الخلافة العثمانية في تصدّيها للإعتداء الإيطالي خاصة والأوروبي عامة، وجمع التبرعات للليبيين من أموال وأسلحة وأغطية .[2]

هذه التطورات التي شاركت فيها حركة الشباب التونسي فتحت الباب أمام الوعي الشبابي والمشاركات الشعبية ،عن طريق المطالبة بالحقوق، والتضامن مع المظلومين، ورغم الطبيعة النخبوية التي ميزت الحركة إلاّ أنّها كانت وراء بروز القوى الشعبية على الساحة التونسية في الكثير من الأحداث والمساهمة في تبلور الوعي الشعبي.

[1] . العياشي ،الزيتونة والزيتونيون،ص71

[2] . عبد المجيد كريّم ، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية ،ص 39.